أبطال الإسلام

عبيدة بن الحارث ..

صاحِبُ المِسْك

الدكتور
طارق البكري

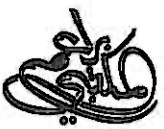

الطبعة الأولى
1425هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

عبيدة بن الحارث..

صاحِبُ المِسْك

أسلم عُبَيْدَةُ في وقتٍ مُبَكِّرٍ جِدّاً من بدايةِ الدعوةِ ، بل في أيامها الأولى ، يوم كان الإسلامُ هَدَفاً لكلِّ كُفّارِ مكةَ ، ولم يكن يجرؤُ أحدٌ على إعلانِ إسلامِه.

أدركَ عُبَيدةُ حقيقةَ الإسلام ، آمَنَ به عن اقتناعٍ وتَصميمٍ ، لم يَرْضَ

لنفسِهِ أن يكونَ عبداً لصَنِمٍ لا نَفْعَ منه ولا ضررَ ، ما هو إلا حجارةٌ لا يَرى ولا يَسْمعُ..

ما أن شَهِدَ حقيقةَ الإسلامِ حتى لَبّى النّداءَ.

لم يَتَقاعَسْ.. لم يَقُلْ: لأَفِرَّ منه.. لم يَقُلْ: أريدُ أن أفكّر... أنا أشكّ... أضاءَ اللهُ صَدرَهُ بنورِ الهدايةِ فسارَ غيرَ عابىءٍ بكلِّ ما يقولُه أهلُ الشِّركِ.

عندما أسلم عُبيدةُ كان عمرهُ حوالي خمسينَ سنةً ، ومع ذلك لم يتردَّدْ ، فقد كان يعلمُ حقيقةَ الأصنام ،

وكأنّه كان يترقّبُ ظهورَ الدينِ الحقيقيِّ البعيدِ عن الأوهام والخرافاتِ.

صَحِبَ عُبيدةُ نبيَّ اللهِ محمداً عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، ولم يكنْ يُفارقُه.. يتعلّم منه.. يَتَفَقَّهُ في الدينِ... يترصَّدُ ما يأتيه من الوحي.

ظَلَّ عُبيدةُ على هذهِ الحالِ إلى أن جاءَ الأمرُ بالهجرةِ إلى المدينةِ ، حَمَلَ عُبيدةُ متاعهُ ولبّى نداءَ المدينةِ ، وتركَ مكةَ برِفْقَةِ أخويهِ الطُّفَيل والحُصَين.

ما أن وَصَلَ عُبيدةُ إلى المدينةِ حتى شَغَلَهُ حُبُّهُ وشَوقُه إلى رسول الله ﷺ ، فقد كانَ حُبُّ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم للنبيّ الكريم صادِقاً.. لا رَيْبَ فيه..

مَكَثَ عُبيدةُ مع الصّحابةِ ينتظرُ قُدومَ النبيّ ﷺ

وكان قُدومُ النبيّ حَدَثاً عظيماً.. انتظَره المهاجرونَ والأنصارُ طويلاً. حتى بلغتْ فرحةُ المدينةِ مكانةً عظيمةً لم تَشْهَدْ لها فرحةً مماثلةً...

وَضَعَ عُبيدةُ نَفْسَه تحتَ تَصَرُّفِ رسولِ اللهِ.

لم يكنْ ليتأَخَّرَ عن أمرٍ من أوامرِهِ.

وَثِقَ به الرسولُ وأدركَ حُبَّهُ وإخْلاصَهُ وقُدْرتَهُ...

فأوْكَلَ إليه قيادةَ سَرِيَّةٍ ، وأعطاه اللواءَ.. قيل: إنه أولُ لواءٍ...

وقيل: إنه الثاني بعدَ لواءِ حمزةَ بنِ عبد المطّلب رضيَ اللهُ عنه..

والأصَحُّ أن النبيَّ ﷺ أعطاه الراية بعدَ شَهْرٍ تقريباً من تاريخِ إعطاء الرايةِ لحمزةَ رضيَ اللهُ عنه.

بعثَـه الرسولُ على رأسِ ستينَ رَجُلاً من المهاجرين إلى منطقةٍ على طـريـقِ مَكَّـةَ حيـث الْتقَـتِ السَّـرِيَّـة مجمـوعـةً مـن الكفّـار علـى رأسهـم أبو سُفيان بنُ حربٍ... جَرَتْ بين الفريقينِ مناوَشَةٌ خفيفةٌ وعادَ الجميعُ من دُون اشتباكٍ مباشَرٍ بالسُّيوفِ.. وقيل: إن أولَ سَهْمٍ أُطْلِقَ في الإسلامِ كانَ في هذه السَّرِيَّة. لم يَجْرُؤْ وقتَها كفارُ مكة على مجابَهةِ المسلمين رَغْمَ أنَّ عـددَهـم يَصِـلُ إلـى مئتيـن بينمـا المسلمون ستون فقط.

ظلَّ عُبيدَةُ ينتقلُ من مكانٍ إلى آخر ، مُستجيباً لأوامرِ النبيِّ ﷺ ، لا يَخْذُلُهُ ولا يَرُدُّ له طلَباً.. كان يَحرصُ على حضورِ مجالسِ الإيمانِ والإنصاتِ لكلِّ كلمةٍ يقولُها ﷺ.

لكنْ.. لم يَعِشْ هذا البطلُ حتى يرى بنفسِه انتصاراتِ المسلمينَ ، ولم يَهْنَأْ برؤيةِ مكةَ من جَديدٍ.. لأنّ الله تعالى اختارَه ليكونَ من شُهداءِ الأمةِ الأُوَلِ.. ويكونَ أولَ مَنْ يُصَابُ في أولِ معركةٍ كبرى يخوضُها المسلمونَ بقيادةِ النبيّ ﷺ.

يَنالُ عبيدةُ بذلك وسامَ الشهادةِ.. وهو في الثالثةِ والستين من عمرهِ تقريباً حيث كان شيخاً كبيراً.. لكنه أصَرَّ على أن يكونَ في صفوفِ الجيشِ ، بل في المقدِّمَةِ بل في مُقدّمةِ المقدّمةِ ، وأولَ مَنْ يُصَابُ..

بل أعظمُ من ذلك.. حيث يختارُه الرسولُ ﷺ لمجابهةِ قادةِ جيشِ الكفرِ... ويقول:

«قُمْ يا عُبيدةُ بن الحارث ، قُمْ يا حمزةُ ، قُمْ يا عليُّ».

فهل بعد ذلك من شَرَفٍ ، رسولُ اللهِ

يُقَدِّمُه على حمزةَ وعليٍّ ويُناديه باسمِه واسمِ أبيه ، وذلكَ للمبارزةِ الأولى قبْلَ بَدْءِ المعركةِ فيُبارزُ عبيدةُ عُتْبةَ بنَ ربيعةَ ، ويُبارز حمزة شيبةَ بن ربيعةَ ويُبارز عليٌّ الوليدَ بنَ عتبةَ.

وقضى اللهُ أن يُصابَ عبيدةُ في المبارزةِ، وقيل: إن عُتبةَ قطعَ رِجْلَ عبيدةَ قبل أن يُجْهِزَ عليه حَمزةُ وعليٌّ.

وقعتِ المعركةُ العظيمةُ ، وانتصرَ المسلمون انتصاراً كبيراً.

حُمِل عبيدةُ ودَمُهُ ينزفُ على أرضِ بَدْرٍ الطاهرةِ..

حملوه إلى النبيّ ﷺ ، فقرّبه الرسولُ إليه وأَسْنَدَ رأسَه برُكْبتِه الشريفةِ تخفيفاً له وتطييْباً..

وبعد دَفْنِ شهداءِ المسلمين... حُمِلَ الجَرْحى ومنهم عُبيدةُ للعودة إلى المدينة وقبل وصولِهم إليها عادتْ روحه الطاهرةُ إلى خالِقها ، في منطقةٍ تسمى الصَّفْراء.. غنيّة بالنخيلِ ، وعيونِ الماء...

وَمَضَتِ الأيامُ... وقضى اللهُ تعالى

أن يَمُرَّ رسولُ الله ﷺ بالمكانِ نَفْسِه مع مجموعةٍ من أصحابِه ، فيقولون: «إنا نَجِدُ ريحَ المِسْكِ».. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «وما يمنعُكمْ وهاهُنا قَبرُ أبي مُعاويةَ» يقصِدُ عبيدةَ رضي الله عنه.

ويُسَجِّلُ التاريخُ لعُبيدةَ وِسامَ الشهادَةِ ووسامَ المِسْكِ ، ويرتقي سُلَّمَ البُطولةِ ، يَسْقي بدمِه الطاهِرِ أرضَ البطولةِ ، ويكونُ من أوائلِ الشهداءِ ، كما كان من أوائل المسلمين ، وأوائل القادةِ.

ويزدادُ عُبيدةُ تكريماً وتشريفاً بعدَ وفاتِه..

يُكرِمُه الرسولُ ﷺ بأمرٍ عظيمٍ... فقد كان من عادةِ المسلمينَ أن يتزوّجوا أراملَ الشهداءِ تكريماً لهم.. قام رسولُ الله ﷺ بالزّواج من أرملته زينبَ بنتِ خُزَيمةَ بعد سنةٍ واحدةٍ تقريباً من استشهادِ زوجِها.. لكنها لم تَمْكُثْ طويلاً حيث تُوفّيتْ بعدَ بِضْعةِ أشهرٍ... رضي الله عنها.

تَذْكُر المصادرُ أن عُبيدةَ كان أكبرَ المجاهِدين يومَ بَدرٍ ، فقد كان عمرُه

٦٣ سنةً ، وعلى كبرهِ اختارَه النبيُّ للمبارزةِ ، لمكانتِهِ وقوتِه.. وكأنّ اللهَ تعالى أرادَ لهذا البطلِ أن يَدْخُلَ الجنةَ شهيداً في يومِ بدرٍ.

هذا هو عُبيدةُ... القائدُ الشُّجاعُ صاحبُ المِسْكِ ، الطيبُ حَيّاً ومَيْتاً.. رضيَ اللهُ عنه وعن سائِرِ صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

* * *